

المبحث السادس

الدروس الدعوية

١ - الداعية يقع في الإثم ولكنه يسرع إلى التوبة:

يقول د/ زيدان: «المسلم قد يقع في الإثم وفي الخطيئة؛ لأنه غير معصوم، ولكن عليه أن يسرع إلى التوبة: «كُلُّ ابْنِ [بَنِي] آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

[الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٩)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وقال الشيخ الألباني: حسن، ومسنند أحمد ٣٤٤/٢٠ عن أنس ؓ رقم ١٣٠٤٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده ضعيف].

كما جاء في حديث رسول الله ﷺ، وقد رأينا كيف أن أبا لبابة ؓ عندما استشاره بنو قريظة في مسألة نزولهم على حكم رسول الله ﷺ فأشار إلى حلقه - يريد الذبح -، وأنه سرعان ما تنبه إلى فعله الآثم، فندم وتاب وربط نفسه على جذع في المسجد حتى أنزل الله ﷻ توبته على رسوله ﷺ، وأبى أن يحله من رباطه أحد غير النبي ﷺ.

وعلى هذا فالوقوع بالإثم محتمل من قبل أي مسلم مهما علت منزلته وعمّر ونور الإيمان قلبه؛ لأنه غير معصوم.

فعلى الدعاة أن يعلموا ذلك، وأن يستحضروه في أذهانهم ولا ينسوه، والمطلوب منهم إذا وقع أحدهم في الإثم أن ينهض حالاً ويتوب إلى الله تعالى وأن يعينه إخوانه على التوبة، وأن لا يُشهرُوا به، أو يتعجبوا منه على وجه يحملهم على مقاطعته، فهذا ونحوه لا يجوز؛ لأن التوبة تمحو الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وإن كانت معصية الأخ في حق غيره من إخوته فعلى هذا الغير أن يسامحه ويعفو عنه ويستغفر له الله تعالى، فهذا هو شأن الإخوة في مجتمعهم الإسلامي الصغير: مجتمع الدعاة في جماعتهم المسلمة».

[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٩٤].

٢ - الداعية بشر ليس معصوماً:

يقول د/ أبو فارس: «فأبو لبابة ؓ صحابي جليل، لكنه هو وسائر الصحابة بشر ليسوا معصومين عن الزلل والوقوع في الإثم، وقصته تريك أنه اقرّفت إثمًا كبيرًا حكم هو على نفسه بأن هذا الفعل كان خيانة لله ﷻ والرسول ﷺ تستوجب الندم والتوبة.

إن المعصومين من اقرار الذنوب والمعاصي: الملائكة، فهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، والرسول الذين حفظهم الله - تبارك وتعالى - من اقرار الذنوب والمعاصي حتى يصدقهم الناس، ويبلغوا جميع ما أنزل إليهم من ربهم، أما غيرهم من الجن والإنس فليسوا بمعصومين.

والرسول ﷺ يقرر أن الجنس البشري بها فيهم الصحابة رضي الله عنهم غير الرسل ليسوا معصومين، بل يذنبون ويستغفرون الله، فيغفر الله لهم، ولو لا أنهم كذلك لما صلحوا لعمارة الأرض، ولذهب الله بهم، قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ». [مسلم في التوبة (٢٧٤٩)].

أقول: إن كثيرًا من الشباب المسلم اليوم، وبعض الدعاة المسلمين تسود عندهم فكرة خاطئة، ينطلقون منها في معاملة الناس، والحكم عليهم حكمًا جائرًا، وهذه الفكرة الخاطئة تقوم على تصورهم أن المؤمن يستبعد أن يرتكب إثما من الآثام، أو مخالفة من المخالفات الشرعية، وبعضهم لا يتصور أن يرتكب المسلم الصالح شيئًا من المحظورات الشرعية، وبالتالي، إذا رأى مسلمًا قد ارتكب معصية من المعاصي، أو ذنبًا من الذنوب، أو جريمة من الجرائم يغضب أشد الغضب، ويخرج عن طوره، ويصدر بحق هذا المسلم أحكامًا جائرة، فيؤذيه وينهش عرضه، وربما أخرجه من زمرة المسلمين.

إن هذا التصور تصور خاطئ لا يقره الإسلام، ويرفضه رفضًا باتًا، ويعد صاحبه من المغالين في الدين، المخالفين لسنة سيد المرسلين ﷺ، وهذا هو التنطع في الدين الذي أخبر الرسول ﷺ بهلاك صاحبه.

إن الصورة الصحيحة هي أن الناس المؤمنين في عهد رسول الله ﷺ، وحتى تقوم الساعة بشر، والبشر يخطئون ويصيبون ويطيعون ويعصون ويذنبون ويستغفرون، ولا يُستثنى من ذلك أحد إلا الرسل، وما نزلت الأحكام الشرعية في الحدود والقصاص والتعازير وغيرها إلا لتطبق عليهم أولاً في مجتمعهم الإسلامي، ودولتهم الإسلامية.

وإني أفهم حين أقرأ هذه الأحكام الشرعية أنها أنزلت لتطبق على المسلمين، بمعنى أن بعضهم سيقع في الزنى، وفي شرب الخمر، وفي السرقة وفي القذف، وفي القتل العمد، وسيرتكب بعضهم الآخر الغيبة، وآخرون يرتكبون السخريّة بالآخرين، وآخرون يظنون الظن السيء بالمسلمين، وهكذا لا يسلم أحد في حياته من الوقوع في معصية من المعاصي، وبالتالي كل إنسان يُسأل عما ارتكب من المعاصي، فإن كانت تستوجب حدًا، وإن كانت تستوجب قصاصًا اقتُص منه، وإن كانت توجب تعزيرًا عُرِّر على ما اقترف، وإن كانت توجب عقوبة أخروية عُوِّقِبَ في الآخرة، وهكذا.

وأقرر هنا أن جميع الحدود والقصاص بأنواعه قد طُبِّقَ في المجتمع الإسلامي الأول، وطبقه رسول الله ﷺ ليس على غير المسلمين كما قد يخطر على بال البعض بل على صحابته رضي الله عنهم، فرجم من رجم، وجلد من جلد، وقطع من قطع، ولا عن من لاعن، وجلد من شارك في حديث الإفك...».

[الصراع مع اليهود لأبي فارس ٧٢/٢ - ٧٤].

٣ - عدم الاستجابة إلى ضغط العاطفة المنبئة عن العقل:

يقول د/ أبو فارس: «إن أبا لبابة رضي الله عنه، حينما رأى نساء بني قريظة وأطفالهم يبكون ويجهشون بالبكاء رق قلبه لهم، ونسي الجرائم التي ارتكبها رجالهم بحق رسول الله ﷺ، وأزواجه أمهات المؤمنين، وخيانتهم وغدرهم بالمسلمين في أحلك الظروف، وتواطؤهم مع الأحزاب لاستئصال شأفة المسلمين ذكوراً وإناثاً، رجالاً وشيوخاً ونساء وأطفالاً، كما هو منصوص في كتبهم المزيفة.

لقد نسي هذا كله، وغلبت عليه عاطفته فأشار عليهم بالألا يتزلوا على حكم الرسول ﷺ؛ لأنه سيذهبهم.

إن على الدعاة إلى الإسلام أن يستفيدوا هذا الدرس من هذه الحادثة، عليهم أن يستفيدوا من هذا الموقف، فيتجنبوا الانفعالات العاطفية البعيدة عن نظرات العقول المتأنية، عليهم أن يلجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأن يُقدِّروا كل كلمة تصدر عنهم، بل عليهم أن يفكروا قبل نطق هذه الكلمة، ما لها، وما عليها، فإن كانت خيراً فلتخرج، وإن كانت غير ذلك فلا تخرج، وصدق رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». [البخاري في الأدب (٦٠١٨، ٦٠١٩)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٤)، والترمذي في صفة القيامة والرفائق والورع (٢٥٠٠)].

إننا نجد في بعض الأحيان أن بعض الدعاة قد يستجيبون لفعل ما، أو لرأي ما تحت تأثير عاطفة القرابة، أو الصداقة، أو الرحمة، أو الشفقة الزائدة، فينسون القيم التي يدعون الناس إليها، ويعملون على ترسيخها، وإذا بهم يتقضونها من القواعد.

إنه ينبغي ألا تؤثر العاطفة أيًا كانت في اتخاذ رأي من الآراء، أو موقف من المواقف، يستوجبه المبدأ والعقيدة، سواء كانت هذه العاطفة عاطفة حب أو عاطفة بغض، إنه لا بد من العدل والاعتدال وعدم الظلم مع الأعداء والأصدقاء». [الصراع مع اليهود لأبي فارس ٧٠/٢ - ٧١].